

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

لم يتزوج ولم ينجب [660]. وكان الاحتفال العظيم بتحقيق المعجزة بميلاد يحيى، والبشرى التي بلغها زكريّا لقومه الذين كانوا في انتظار لها، كما يتّضح من الآية: (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بِكُرْسِيِّ وَعَشْيَاءَ). فالحقيّة إذن لم تكن تخصّ زكريّا وحده، وإنّما تخصّ كلّ القوم والأتباع من اليهود، وهذا أيضاً يؤكّد ما ذهبنا إليه قبلاً من أنّّه لم يكن هناك وريث للنبوّة في بيت آخر غير بيت زكريّا. وبينما كان يحيى يبلّغ رسالته، نجد الأتباع من اليهود – وهم القوم الناكرون الجاحدون – يتأمرون عليه، وتنتهي حياة يحيى النهاية المأسويّة المعروفة، دون أن يتزوج أو ينجب الوريث، وتصل الأزمة إلى ذروتها؛ أزمة حقيقيّة لا مثيل لها من قبل، حيث انتهى النسل الموعود بميراث النبوّة بموت سيّدنا يحيى. إلّا من آخر النسل، ولكن وفي هذه المرّة يكون آخر النسل امرأة، امرأة تقيّة ورعة، عذراء بكر، مرعيّة من قبل الله عزّ وجلّ، للحكمة التي من أجلها بقيت كآخر ما تبقى من نسل إبراهيم. أصبحت شجرة النبوّة مجدّداً في أزمة حقيقيّة، لم يسبق أن توافق لها وجود مأزق كهذا، وما كان إلا ليخلف وعده عبده إبراهيم، ولم تكن النبوّة لتوهب لأحد من النساء، فهذا ناموس الله، وإلّا لكانت مريم أحقّ من توهبها، وهي نهاية العقد الفريد في سلسلة الأنبياء من نسل يعقوب، بعد أن انتهت السلالة من الذكور بموت زكريّا، ومقتل يحيى دون إنجاب الوريث. وكانت المعجزة الكبرى، لأنّ الله ما كان ليترك نسل يعقوب ولا يرسل نبياً بعد إلّا فيهم، ولمّا كانت النبوّة في الإنثا محالة، فقد اختارها الله سبحانه وتعالى وهي